

الأبعاد السياسية للحملات العدائية

ورقة مقدمة إلى ندوة : (نصرة نبي الأمة) : المنظمة بحكمة المكرمة ، من
قبل رابطة العالم الإسلامي
في ذي الحجة ١٤٢٧ هـ ديسمبر ٢٠٠٦ م
للدكتور / أحمد الريسوني ، الخبير الأول لدى مجمع الفقه الإسلامي
الدولي بمكة ، وأستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة بجامعة محمد
الخامس بالرباط .

قبل الدخول في صلب الموضوع ، وفي المحور المخصّص لهذا الغرض —: أود
التذكير بأن الحملات على رسول الله ﷺ وعلى أنبياء الله ورسله عامة —: ليست
جديدة ، وليست خاصة بنبي الإسلام ، بل هي قديمة وملازمة لدعوات الرسل والأنبياء
عليهم صلوات الله وسلامه ، وقد أخرجنا الله عز وجل بأن هذا السلوك العدائي يمثل قاعدة
مطردة ، وسنة جارية لدى بعض الأفراد وبعض الفئات ؛ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُنِي بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾^(١) . ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَلِمَتَكُمْ فَرِقًا فَمِنَّا مَن يَمُوتُ ﴾^(٢) فقد لاقى الأنبياء في حياتهم وفي زمنهم أشد مما
يتعرضون له بعد مماتهم . ولتذكر أن نبي الله إبراهيم تعرض لمحاولة إحراق . وتعرض نبي الله
عيسى لمحاولة قتل وصلب . وتعرض خاتم الأنبياء ﷺ لمحاولات عديدة للقتل من المشركين
ومن اليهود .

وأما الإذابات المادية والمعنوية لجميع الأنبياء . فحدث ولا حرج . والذين يطعنون
اليوم في سيدنا محمد خاتم الأنبياء والرسل . قد طعن أسلاف لهم في موسى وعيسى وداود
وسليمان . . . وغيرهم من الأنبياء . وقالوا عنهم الأقاويل المفتراة .

معاداة الإسلام في سياقها السياسي

مما لا شك فيه أن الحملات الغربية ضد الإسلام نبيا وكتبا وشريعة تعرف
مدًا وجزرا . وخفة وشدّة . وهدوءا وحِدّة . تبعا لعوامل كثيرة . وهي اليوم تعرف موجة
عارمة من التصعيد العدائي المحموم . بعد أن شهدت علاقة الغرب بالمسلمين فترة متميزة

من التقارب والتعايش . ولكل من الحالتين أسباب متعددة . من أهمها العامل السياسي
والمناخ السياسي

لقد عرف العالم الغربي منذ وقت غير بعيد تحسنا نسبيا . وقدرا ملموسا من
الهدوء والتعايش والتسامح تجاه الإسلام والمسلمين . وذلك منذ الحرب العالمية الثانية فما
بعدها إلى بداية الثمانينيات من القرن الماضي . وبالتأمل في هذه الحقبة ومميزاتها . يمكن
إرجاع الحالة المذكورة إلى الأسباب الآتية

١ حاجة الغرب (الحلفاء) إلى المسلمين أثناء الحرب العالمية الثانية لمواجهة
القوات النازية وحلفائها . وفعلا فقد كان للمسلمين مدد وأثر في مسار الحرب
ون نتائجها .

٢ خروج الغرب من هذه الحرب بتجربة مريرة باهظة الثمن . بسبب النزعة
العنصرية . وبسبب ثقافة الاستعلاء والحقد والتعصب . التي حملت "هتلر" وأمثاله إلى
الحكم . ثم حملتهم إلى الحرب والغزو . ولذلك أقبل الغربيون عامة . والأوروبيون
خاصة . على ثقافة التسامح والتعدد والاعتراف بالآخر وحقوق الإنسان ... ولاشك أن
المسلمين في الغرب قد استفادوا من هذه الأجواء الإيجابية . على الأمد عدة الاجتماعية
والثقافية والحقوقية .

٣ في هذه الحقبة حصلت معظم الدول الإسلامية على استقلالها وتحررها من
الاحتلال . الذي مارسته عليها الدول الأوروبية لعدة عقود . بحيث بدأت الدول
الاستعمارية وكأنها تصحح أخطاءها . وتتخلص من ماضيها الاستعماري . مما أحدث
نوعا من الانفراج والتصالح والارتياح . والتطلع إلى قواعد وأعراف جديدة في العلاقة
والتعامل ...

٤ دخول الدول الغربية الرأسمالية في تنافس وصراع جديدين . هذه المرة مع
المعسكر الاشتراكي بزعامة "الاتحاد السوفياتي" آنذاك . وهو الصراع الذي كان يعرف
بالحرب الباردة . التي كانت تتحول مرارا إلى حرب ساخنة . من زاوية مذهبية عقائدية .
كان هذا الصراع قائما بين الرأسمالية الليبرالية . والشيوعية الماركسية . ومن هذا الباب
انحازت أطراف إسلامية عديدة إلى المعسكر الغربي "المسيحي" . ضد المعسكر الشيوعي

«الملحد» وهكذا جرت بين الجهتين تحالفات صريحة أحيانا . وض منية في أغلب الأحيان لمواجهة المد الشيوعي . بل كان الغرب يرى في الإسلام نفسه سدا منيعا وخصما قويا ضد الخطر الشيوعي اللاديني . خاصة مع حالة الضعف والتلاشي التي كانت تخيم على المسيحية . بل إن بعض الكنائس المسيحية في أمريكا اللاتينية دخلت في تحالفات فعلية وعلنية مع الحركات الثورية الشيوعية . وهذا ما أعطى مزيدا من امتياز للإسلام وللثورة الإسلامية . في القدرة على التصدي للموجة الشيوعية الزاحفة آنذاك .

٥ أسهمت العمالة المهاجرة من العالم الإسلامي بدور كبير في إمداد أوروبا الاقتصادية الأوروبية لما بعد الحرب . ولبت احتياجات ملحة ومستعجلة في مختلف المجالات الاقتصادية . فكان هؤلاء المهاجرون المسلمون مرحبا بهم وبمساهمتهم الإيجابية لفائدة الأوروبيين .

كل هذه الأسباب تضافرت لتشكيل حالة التحسن النسبي . في تعامل الغرب مع الإسلام والمسلمين طيلة الفترة المذكورة . وهذا ما زاد من تشجيع هجرة المسلمين إلى الأقطار الغربية . ولم تقتصر هذه الهجرة على الأيدي العاملة . بل شملت أعدادا متزايدة من الطلبة ومن النخب المتعلمة . ومن الدعاة والمتقنين . الذين وجدوا من الحرية والحقوق والإمكانات ما لم يجدوه في بلدانهم . بما في ذلك الحقوق الدينية والدعوية ! هذه الحالة الإيجابية بدأت تنعكس وتساء . بشكل متدرج . ولكنه مطرد . منذ بداية الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي (مطلع القرن الرابع عشر الهجري) . في هذا الاتجاه تصاعدت الكراهية والتبرم بالوجود الإسلامي . وتزايدت الاتهامات والمضايقات ضد المسلمين في الغرب . ونمت التيارات اليمينية والعنصرية المتطرفة . ثم بدأت عمليات اضطهاد منظم . وصلت أحيانا إلى القتل وإحراق البيوت

ويمكن إجمال أسباب هذا التحول السلبي فيما يلي

١ قيام عدد من الجهات الغربية كندية وإعلامية وأكاديمية وحزبية وحكومية بالتحذيرات المتتالية والمتصاعدة . من تزايد السلمين في الغرب . كما وكيفا وأنشطة . مع التضخيم والتهويل في تصوير «مخاطرهم» على المجتمعات الغربية وهوياتها وأوضاعها ...

٢ الانتشار الواسع لمظاهر الصحوة الإسلامية . مع الظهور القوي لما يسمى
غربيا بحركات الإسلام السياسي . سواء التي وصلت الى الحكم . كحال إيران والسودان
وأفغانستان . أو التي كادت أن تصل أو وصلت جزئيا . كحال تركيا أيام نجم الدين
أربكان . والجزائر . أو التي شكلت قوة سياسية معارضة ومزعجة . كحال باكستان
ومصر وتونس ...

٣ سقوط المعسكر الشرقي وزعيمه الاتحاد السوفياتي . ونهاية الخطر الشيوعي .
وهو ما يعني نهاية الاحتياج الغربي للإسلام والمسلمين في هذه المعركة . بأشكالها الباردة
والساخنة . بل إن عددا من الزعماء والساسة الغربيين تسارعوا إلى الإعلان بأن العدو
الجديد والخطر الجديد . الذي يهدد الغرب . إنما هو الإسلام والعالم الإسلامي . إن بعض
تلك التصريحات كانت في الحقيقة أقرب ما تكون إلى «إعلان حرب» وخاصة حينما
تصدّر عن رجالات الحرب من القادة العسكريين الكبار . فهذا الأمين العام لحلف شمال
الأطلسي «ويلي كلايس» لم يكذب يتسلم منصبه الجديد سنة ١٩٩٠ حتى أعلن وبشكل
حاسم «لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نتخلى عن خلافاتنا ونواجه صوماتنا
السابقة . وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعا . وهو الإسلام . إن الأصولية الإسلامية هي
على الأقل في مستوى خطورة الشيوعية سابقا»^(٣) . وبشكل أكثر حسما . صرح زميله
الجنرال «جون كالفان» . القائد الأعلى للحلف الأطلسي في حفل تكريمه ببروكسيل
سنة ١٩٩٤ . قائلا «لقد ربخنا الحرب الباردة . وهأنذا نعود بعد ٧٠ عاما من
الصراعات الضالة إلى محور الصراع القائم منذ ١٣٠٠ سنة . إنه صراع المجاهدة الكبيرة مع
الإسلام»^(٤) .

٤ الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الذي اجتاحت الدول الغربية وخاصة
منها ظهور البطالة وتزايدها في المجتمعات الأوروبية . وازداد الطين بلة . بعد التحولات
الدراماتيكية السريعة التي شهدتها أوروبا الشرقية . ونجم عنها تدفق كبير للأوروبيين
الشرقيين على أوروبا الغربية . طلبا للعمل وظروف عيش طالما حلموا بها وتطلعوا إليها .
فهؤلاء عقّدوا أكثر المشكلة الاقتصادية والاجتماعية الأوروبية . وشكلوا بديلا
مفضلا . زاد من الشعور بالاستغناء عن المسلمين ومن حدة الرفض والتبرم بهم .

٥ وأخيرا ضمن أسباب هذا التحول والتصعيد ضد الإسلام والمسلمين جاء «الإرهاب» أو جيبى به . وكلنا نعرف القصة ونعيش فصولها وتفصيلها. وقد أصبح واضحا أن المواد الأولية لإنتاج بضاعة الإرهاب وتمييتها . إنما هي بنت السياسات الغربية عموما . والأمريكية الصهيونية خصوصا . بل إن هذا «الإرهاب» يشكل مطلبا حيويا وشرطا ضروريا لإثبات بعض النظريات التدميرية وتنفيذها . على ما سيأتي بيانه بعد قليل .

ليسوا سواء

حينما نتحدث عن الحملات العدائية . وعن القائمين بها . ضد الإسلام وضد نبي الإسلام . فإننا لا نعمم نسبتها إلى أي جهة من الجهات . فلا ننسب ذلك إلى الغرب عامة . أو لأوروبيين . أو إلى المسيحيين . أو إلى عامة الساسة الغربيين . أو ما إلى ذلك من التعميمات المرفوضة في منهج التبين والتمييز والإنصاف . نهنجنا وشعارنا في التعامل مع خصومنا ومُخالفينا . وحتى مع أعدائنا . هو قوله تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾^(٥) .

القرآن الكريم حتى وهو في سياق نقده لأهل الكتاب ولما وقع ووافيه من تحريفات وانحرافات ينصفهم غاية الإنصاف . ويميز بين فئاتهم وطوائفهم . وينسب إلى كل فئة ما لها أو ما عليها . دونما خلط أو تعميم . كما هو واضح في الآية السابقة وفي تتمتها ﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾^(٦) كما في قوله عز وجل ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلُونَكُمْ﴾^(٧) وقوله ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾^(٨) . وقوله ﴿إِنْ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَابِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٩) .

والحقيقة أننا لا نكاد نجد شيئا من الأعمال والمواقف والتصرجات العدائية والعدوانية والتحريرية ضد الإسلام والمسلمين . إلا ونجد في الغرب من ينتقدها ويعارضها . من المؤسسات والشخصيات الدينية . ومن المؤسسات والشخصيات

السياسية . فضلا عن كثير من المفكرين والمتقنين والإعلاميين الأحرار . حتى وجدنا
مثلا من المسؤولين الأوروبيين من يرد على سيلفيو برلسكوني ويصفه وهو
رئيس الوزراء الإيطالي بأنه «طالبان أوروبا»^(١٠)

أصحاب الحملات : أصنافهم وأهدافهم

الحملات العدائية ضد الإسلام . أو ضد القرآن . أو ضد خاتم الأنبياء عليه
الصلاة والسلام . لاتصدر عن صنف معين . ولا لسبب واحد مشترك لدى القائمين
بها . كما أنها ليست ذات هدف واحد . أو أهداف موحدة . فالأسباب متنوعة
والأهداف متعددة . وإن كانت متداخلة ومتقاطعة ومتضاربة . حتى لتبدو كأنها تصدر
عن قوس واحدة وترمي إلى هدف واحد .

معاداة الإسلام لها دوافع دينية . ولها دوافع لادينية . كما أن لها دوافع سياسية
وأخرى اجتماعية . وكل هذه الدوافع تقتضي من أصحابها اعتماد «سياسة» عدائية ضد
الإسلام . أو التوسل بالسياسة والسياسيين للنيل منه ومواجهته . مما يجعل الأهداف
السياسية حاضرة عند الجميع . سواء كانت غاية في حد ذاتها . أو وسيلة لما بعدها ...

* الصنف الأول : الحركة الصهيونية المسيحية

هؤلاء هم ورثة العداة الديني اليهودي القديم . الذي تلبسته الحركة الصهيونية
الحديثة . بأبعادها وأهدافها وتحالفاتها السياسية . الاستيطانية . الاسـ تعمارية . فهذه
الحركة القديمة الجديدة . تجدد نفسها . وبجميع خلفياتها وحيثياتها . في موقع العداة الشامل
والدائم للإسلام ورموزه ومقوماته . فمحاربتهم للإسلام ومعركتهم ضده . هي في
نظرهم مسألة حياة أو موت . فهم يعلمون أن الإسلام ديننا وشريرة وأمة يبطل
ويرفض اغتصابهم لفلسطين . ويبطل الأساطير الدينية التي ينون عليها حركتهم ونظرياتهم
الاستيطانية والإجرامية . ويدعو إلى الجهاد ضد اغتصابهم وسائر جرائمهم . فعندما وهم
للإسلام وكتابه ونبيه مزدوجة قديمة جديدة . دينية سياسية . حالية ومستقبلية . وقد

رهن هؤلاء أنفسهم وأتباعهم لرؤية توراتية ملفقة ومُسيَّسة . مفادها أنه لا بد من تجميد اليهود في أرض فلسطين وما جاورها . لأنهم ورثتها وأصحاب الحق فيها . ويجب إقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى . وأنه لا بد من انتصارهم على "الكفار" من أهل المنطقة . عبر مجازر ومحارق لا مثيل لها في التاريخ . باعتبار ذلك كله شرطاً ومقدمة لتزول عيسى ابن مريم عليه السلام ليحكم العالم إلى قيام الساعة . وهم بصفة خاصة ومحمد صلى الله عليه وآله بصفة خاصة . يؤمنون بما يعرف عندهم بـ "معركة هرمجدون" المذكورة في سفر الرؤيا وسفر حزقيال من الكتاب المقدس . وهم اليوم يفسرون معركة هرمجدون هذه . بالحرب النووية الكبرى التي ستشنها "إسرائيل" . وتبيد من خلالها ملايين "الكفرة" . من المسلمين ومن الأوروبيين . وهذه فعلا هي "عقيدة الدمار الشامل" كما سماها الباحث المتخصص الأستاذ محمد طلاي⁽¹⁾ . فحرب هؤلاء ضد الإسلام والمسلمين هي حرب إبادة لا أقل ولا أكثر . فكل ما يمضي في هذا الطريق . ونحو هذا الهدف . فهو مطلوب ومعتمد عندهم . ورغم أن الحركة الصهيونية اليهودية تمثل النواة الصلبة والعقل المدبر لهذا التدمير . فإن عددا كبيرا من المسيحيين قد استدرجوا إلى هذه العقيدة . وخاصة من الطائفة البروتستانتية الإنجيلية . وهم المعروفون اليوم بالمسيحيين الصهيونيين . ويقدر عدد أتباعهم وأنصارهم في الولايات المتحدة الأمريكية بنحو ١٠٠ مليون . ومنهم الرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش .

الصف الثاني أصحاب الإرث الصليبي

أصحاب الإرث أو التار الصليبي . بأحقاده وأوجاعه وثارته . ما زالوا ينفخون في هذه الحمية ويشغلونها . فرغم الضمور والفتور الذي أصاب هذا الإرث لدى عامة الشعوب المسيحية الحديثة . وخاصة في القارة الأوروبية . فإن له أذصارا وسدنة يعملون على إحيائه وتفعيله باستمرار . وهم يتركزون بالدرجة الأولى في صفوف الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية . فهؤلاء لديهم هواجس ودوافع وأهداف دينية سياسية . باعتبار أن الإسلام في نظرهم . إنما توسع واكتسح وتغوى على حساب الديانة المسيحية والإمبراطورية الرومانية المسيحية . وهو ما يزال المنافس والمزاحم الأول لها . على الصعيد

العالمي . وحتى في عقر ديارها (أوروبا) . فهؤلاء عموما . ما زالوا يفكرون ويعيد شون على إيقاع الحروب الصليبية . بكل خلفياتها الدينية والقومية والسياسية والعسكرية . ولعل أقرب مثال لمواقف هذه الفئة . هو ما صدر عن بابا الفتيكان ورئيس الوزراء الإسباني السابق . خلال شهر شتنبر المنصرم .

فرييس الكنيسة الكاثوليكية البابا بينيديكتوس السادس عشر . القى محاضرة بمسقط رأسه بألمانيا . يوم ٢٠٠٦/٩/١٢ ضمنها عددا من الاتهامات المشوهة للإسلام . منها لا عقلانية العقيدة الإسلامية . وكون فكرة الجهاد منافية للإرادة الإلهية . كما استشهد بفقرة من كتاب للإمبراطور البيزنطي إيمانويل الثاني . مفادها أن النبي محمدا ﷺ لم يأت إلا بما هو شرير ولا إنساني ...

ولما توالى الانتقادات والاحتجاجات ضد البابا . ووجهت إليه الدعوات بضرورة الاعتذار عن هذه الإساءة الشنيعة للإسلام والمسلمين . انبرى لتأييده والدفاع عنه رئيس الوزراء الإسباني السابق خوسي ماريا أزنار . فقد ألقى محاضرة بمعهده (هادي سون) بواشنطن . يوم ٢٠٠٦/٩/٢٣ . استهجن فيها مطالبة المسلمين للبابا بالاعتذار . قائلا "العديد من الأشخاص طلبوا من البابا أن يعتذر عن محاضراته . وأنا لم أسمع يوما من سلما يقدم اعتذاره لغزو اسبانيا واحتلالها على مدى ثمانية قرون" . ثم أضاف "إننا نعيش في زمن حرب . فإما هم وإما نحن . الغرب لم يهاجم الإسلام . إنهم هم الذين هاجمونا" . واعتبر أن "تحالف الحضارات" الذي يدعو إليه حلفه رئيس الوزراء الإسباني الحالي خوسي لويس ساباتيرو . بدعم من تركيا والأمم المتحدة . إنما هو "سَخَافَة" . لكنه اعتبر أن الحوار السياسي إيجابي ولا غنى عنه^(١٢) .

ومعنى هذا عند السيد أزنار . اعترافه بالكيان السياسي للمسلمين . وبالمصالح المتوقعة على الحوار السياسي معهم . لكنه لا يعترف لهم بالقيمة الحضارية والمكانة الحضارية . وهو بهذا يلتقي مع صديقه وزميله رئيس الوزراء الإيطالي السابق سيلفيو بيرلسكوني . صاحب التصريح الشهير حول رقي الحضارة الغربية وتفوقها على الحضارة الإسلامية . وأن على الغرب أن يأخذ هذا التفوق بعين الاعتبار في حربيه على الإرهاب^(١٣) .

في الوقت الذي أثار فيه تصريح برلسكوني الغضب والامتعاض حتى في بعض الأوساط الغربية. تصدت لتأييده والمزايدة عليه. الكاتبة الإيطالية أوريانا لافالانتشي المعروفة بشدة كراهيتها للإسلام والمسلمين حيث وجهت رسالة مطولة إلى برلسكوني. أعلنت فيها أننا نعيش حرباً صليبية قائمة بالفعل. وخاطبته بقوله: «إني أتضايق حتى من الحديث عن ثقافتين. وأتضايق من المقارنة بينهما. وكأهنا حقيقة أن متساويتان في القيمة». وبعد سردها لأبجد الحضارة الغربية المسيحية ومنجزاتها. تتساءل: «والآن لنطرح السؤال الكبير: بم عسى أن تفتخر الثقافة الأخرى؟ أنا لا أجد غير محمد وقرآنه وابن رشد. فالمسلمون لم يتركوا لنا سوى بعض المساجد الجميلة. وكتابا يثير التفرز... كيف تفسرون لي تحريم الخمر وحد الموت لشاربه؟! كل هذا مكتوب في القرآن»^(١٤).

الصف الثالث اللادينيون

وهم أصحاب الفكر العلماني الإلحادي اللاديني الحديث. ولا أقصد هنا مطلقاً الفكر العلماني الحديث الذي يرى فصل الدين عن الدولة وعن الشؤون العامة للمجتمع. وإنما أعني من يتجاوزون هذا الحد. إلى إنكار الدين ورفضه. وإلى معاداته ومحاربه. باعتباره عبئاً على البشرية في مسيرتها التحررية والتقدمية. وفي تطلعاتها الحداثية وما بعد الحداثية. فالدين حسب تفسير هؤلاء للتاريخ هو السبب الرئيسي للصراعات والحروب والاستبداد والتخلف... فهؤلاء وإن كانوا يرفضون ويحاربون الأديان كلها. فإن حركهم ضد الإسلام هي قضيتهم اليوم. باعتباره الدين الأكثر اهتماماً بالشؤون العامة. وهو اليوم الدين الأكثر حضوراً والأكثر تأثيراً في المجال السياسي. وبما أن المسيحية قد انهزمت وانسحبت أمامهم. فعلى الإسلام أن يحذوها ويلقى مصيرها. طواعية أو كراهية.

الصف الرابع الإباحيون

والمقصود بهم التيار الشهباني الإباضي . الذي يسعى إلى تحرير الشهوات وإطلاقها واستثمار مداخلها . فهذا التيار يجد في الدين والتدين . والثقافة الدينية . والقيم الدينية . منغصات وعوائق صلبة في طريقه وفي طريق أهدافه الشهبانية والتجارية . وقد أصبح تيارا جماهيريا كاسحا . وهو ليس عفويا كما قد يظهر . بل أصبح له منظمٌ رؤيه ومنظمٌ ووه ومنشطوه . بل هو اليوم صناعه وتجاره . هذا التيار . وإن كان يكره ويعادي ويحارب الأديان كلها . فلا شك أن الإسلام يأخذ من ذلك كله النصيب الأوفر باعتباره الأكثر صلابة ومقاومة وصمودا في وجه الثورة الجنسية والطوفان الإباضي البهيمي العبثي . ومن العبارات الملخصة لبعض فلسفة هذا التيار شعار "تدنيس المقدس . وتقديس المدنس" . فإهانة المقدسات والقيم المعظمة . وتحقيرها وتحطيم قداستها ومكانتها . وبالمقابل جعل الفواحش والرذائل "كالعري التام . والشذوذ الجنسي . والزواج المثلي . وممارسة الجنس بلا حدود ولا قيود . ورفع كل حظر عن تعاطي المخدرات" مقدسات لا تقبل الجدل . كل هذا يدخل في شعار تدنيس المقدس وتقديس المدنس .

الصف الخامس السياسيون الاستعماريون (الحركة الإمبريالية)

فهناك دول وساسة ذوو مخططات ونزعات استعمارية وتحكمية . تجاه الدول والشعوب المستضعفة . وفي مقدمتها الدول والشعوب الإسلامية . فهؤلاء قد أعطوا لأنفسهم حق الوصاية والهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على العالم . فهؤلاء دوافعهم وأهدافهم قد تكون سياسية بحتة . أو سياسية بالدرجة الأولى . ولكنهم حين يصطدمون بأشكال من المناعة والممانعة والمدافعة والتمسك بالذات . لدى الدول والشعوب الإسلامية . ويكتشفون أن سر ذلك ومصدره هو الإسلام . وهو القرآن . وهو نبي الإسلام . عليه الصلاة والسلام . فإن العمل على إضعاف هذه العناصر . وتحطيم فاعليتها . يصبح هدفا مشروعاً . ومطلبا ملحا لديهم . يقومون بإنجازه أو يدعمون من يقومون به .

فهذه الفئات كلها تلتقي بقصد وبغير قصد في كراهية الإسلام والعمل على إضعافه وتحطيم رموزه ومواضع القوة والمنعة فيه . ومن هؤلاء من يكفون في آن واحد

منتميا إلى أكثر من صنف . ويحارب الإسلام بأكثر من صفة . فقد يكون صاحب نزعة صليبية وذا نزعة استعمارية . وقد يكون توجهه لائكيا وهو أيضا إباحي مناهض للقيم الدينية الخلقية . وقد يجمع بين العقدة الصليبية والعقيدة الصهيونية . أو بين عقدة خير وعقدة الهيكل ... كما أنهم كل بصنفة وصفته كثيرا ما ينسقون ويتآزرون . كلهم أو بعضهم . في بعض المخططات والحملات ضد «عدوهم» المشترك . هذا فضلا عن التلاقي والتكامل الضمني الذي يحصل دائما .

خلاصات وتوصيات

أولا / أهم الخلاصات

- ١ العوامل السياسية لها تأثير بليغ ضمن مؤثرات أخرى على الحملات العدائية ضد الإسلام . وهو تأثير قد يكون سلبيا وقد يكون إيجابيا .
 - ٢ الحملات العدائية تصدر عن أصناف متعددة ومختلفة . يجمعها العداء للإسلام والمسلمين . وأكثرهم يحققون أو يهدفون إلى تحقيق أهداف سياسية مباشرة أو غير مباشرة .
 - ٣ الأهداف السياسية لمحاربة الإسلام وشن الغارات عليه وعلى رموزه . يمكن تلخيصها فيما يلي
- ١،٣ القضاء على نفوذ الإسلام وفاعليته المؤثرة في الأوضاع العامة . وفي مجريات الأحداث . على صعيد العالم الإسلامي وعلى الصعيد العالمي .
 - ٢،٣ التشويه المستمر لصورة الإسلام . ونشر الكراهية والنفور تجاهه لعرقلة انتشاره وتوسعه عبر العالم .
 - ٣،٣ الهجمات الشرسة على الإسلام ورسوله . تدخل ضمن العمل بنظرية الحرب الاستباقية . تحسبا لأي هزيمة إسلامية تجعل المسلمين في موقع قوة ومكانة مما قد يشكل في نظرهم مساسا أو تهديدا لساحتهم أو مصالحهم .

٤,٣ إخضاع المسلمين ودمجهم تحت الهيمنة الـ سياسية والاقتـ صادية
للكتلة الغربية .

ثانيا / توصيات

١ نحن بحاجة إلى التمييز وعدم الخلط وعدم التعميم ففي العالم الغربي تيارات ومنظمات وشخصيات وازنة لا تقبل هذه الحملات والسياسات العدائية الظالمة ضد المسلمين . وتريد تفاهما صادقا وتعاملا منصفنا معهم . ومن أهم هؤلاء بعض الكنائس المسيحية في أوروبا . والولايات المتحدة الأمريكية . وأمريكا اللاتينية . (مثل مجلس الكنائس العالمي . والمجلس الوطني لكنائس المسيح بأمريكا)

٢ يرجى من الهيئات الإسلامية المؤهلة . اتخاذ المبادرات نحو ربط علاقة مستمرة ومنتظمة للتعاون والتشاور والتنسيق مع مختلف الجهات السياسية والدينية والأكاديمية والثقافية في الغرب . وفي مقدمتها تلك التي تتسم مواقفها بالاعتدال والإنصاف . وإذا كان من حقنا ومن واجبنا التصدي لمواجهة المتحاملين المعتدين . فإن من الواجب أيضا رد الجميل والتحية للمتزين المنصفين .

٣ نظرا للنقص الكبير عند المسلمين في الدراسات والأبحاث والمؤسسات المتخصصة في شؤون العالم الغربي . وخاصة منها الدينية . فإننا بحاجة ماسة وعاجلة لسد هذا الخصاص . بإنشاء مراكز بحثية . وأقسام جامعية . ورصد منح ومكافآت وجوائز . للعمل في هذا الاتجاه . وبدون سد هذه الثغرة لن نكون قادرين وزاجحين . سد واء في مواجهة مع المتحاملين المعتدين . أو في التحاور مع المعتدلين المنصفين .

وبالله تعالى التوفيق والسداد

أ . د . أحمد الريسوني

الهوامش

- ١ . سورة الفرقان الآية ٣١
- ٢ . سورة البقرة ٨٧
- ٣ . توظيف الإسلام في الصراعات الدولية ، محمد السماك — مجلة (وجهات نظر) العدد ٨٦ — مارس ٢٠٠٦
- ٤ . المرجع السابق نفسه
- ٥ . سورة آل عمران ، الآية
- ٦ . آل عمران ٤/
- ٧ . آل عمران ٦٩
- ٨ . آل عمران ٧٢
- ٩ . سورة التوبة ٤
- ١٠ . التصريح من الخارجية البلجيكية ، انظر : صورة الإسلام في الإعلام الغربي للدكتور محمد بشاري ، ط دار الفكر بدمشق ٤٢٥ / ٢٠٠٤
- ١١ . من بحث له غير منشور بعنوان : " العقل المفخخ ، عقيدة الدمار الشامل (المسيحية الصهيونية) " ، ألقاه على شكل محاضرات في عدد من المدن المغربية . وقد أمدني — مشكورا — بنسخة منه . وانظر في هذا الموضوع أيضا كتاب : " المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون " ، لجهاد الخازن
- ١٢ . نشر ملخص عن تصريحاته في عدد من وسائل الإعلام المكتوبة والإلكترونية ، في التاريخ نفسه
- ١٣ . صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، ص ٩٠
- ١٤ . الرجوع السابق ص ٩٤